خطبة ألقاها

الشيخ أ.د. سليمان بن سليم الله الرحيلي

أستاذ كرسي الفتوى بالجامعة الإسلامية والمدرس بالمسجد النبوي الشريف

يوم ١٨ جمادى الآخرة ١٤٣٥ بالمدينة النبوية

[الخطبة الأولى]

الحمد لله، الحمد لله ذي الجبروت والكبرياء، المنعم على عباده إنعامًا يَجِلّ عن الإحصاء، جعل نعيم الجنة بلا انقضاء، وجحيم النار بلا فناء، يُنعِم على من شاء بما شاء، ويختصّ برحمته من يشاء، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادةً مُبَرَّأةً من الشك والرياء، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، سيد المرسلين وخاتم الأنبياء، وإمام الأتقياء الأزكياء، صلى الله عليه وسلم ما دامت الأرض والسماء، ورضي الله عن آله الطيبين وصحابته الخيّرين النُّجباء، أما بعد فيا معاشر الفضلاء:

إن نِعَم الله ﷻ على عباده لا تُعدّ ولا تحصى، فنعم الله لا يحيطها حدّ ولا يستقصيها عدّ، ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ [النحل:١٨].

وإنّ ربنا الكريم قد أنعم علينا بنعمة عُظمى، اختصّنا بها من بين سائر أهل الأرض، فلا يشاركنا فيها غيرنا، ألا وهي -يا عباد الله-: سُكنى مدينة رسول الله ﷺ، بعضنا من أهل المدينة أصلاً، وبعضنا اجتباهم ربّنا من أهل بلدهم فأنعم عليهم بالإقامة في المدينة، وبعضنا أنعم الله عليه بزيارة المدينة.

فهل عرفنا أنّا في المدينة حقّاً؟ وهل قُمنا بحقّ المدينة صِدقًا؟

عباد الله، إن سكنى المدينة نعمة عظمى من نعم الله ﷻ، وكيف لا تكون سكنى المدينة نعمة، وهي المدينة التي هاجر إليها نبينا ﷺ، ونصره أهلها، وأعزّه الله فيها، وعاش فيها، ومشَى بين جَنَباتها، ومات فيها ﷺ، وجسده الطاهر الشريف في قبره فيها، لم تأكل الأرض منه شيئاً، وسيُبعث منها إن شاء الله؟ فنعم الجوار جوار رسول الله ﷺ، إنها -والله- طابة كما سمّاها الله، وطيبة كما سمّاها رسول الله ﷺ.

كيف لا تكون سكنى المدينة نعمة، وهي المدينة التي كان النبي ﷺ يحبها، فكان يقول: «اللهمّ حبِّب إلينا المدينة كحبّنا مكة أو أشدّ»، وكان ﷺ إذا قدم من سفر فرأى جدرات المدينة أوضعَ راحلته، وحرّك دابته، حُبّاً لها، أي أنه ﷺ كان إذا اقترب من المدينة أسرع في سيره من حبّه للمدينة ﷺ.

وقدم يومًا من غزاة، فلما رأى أُحُد قال: «الله أكبر! هذا أُحُد، يحبّنا ونحبّه».

وكيف لا تكون سكنى المدينة -يا عباد الله- نعمةً، وفيها مسجد رسول الله ﷺ؟ وأحبّ البقاع إلى الله المساجد، وأفضل المساجد ثلاثة، منها مسجد رسول الله ﷺ، يقول النبي ﷺ: «لا تُشَدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى».

جعل الله ﷻ للصلاة في مسجد النبي ﷺ مزيّةً على غيره، إلا المسجد الحرام، يقول النبي ﷺ: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام».

جعل الله ﷻ لطلب العلم في مسجد النبي ﷺ مزيّةً زائدةً عن طلب العلم في غيره، فقال ﷺ: «من أتى مسجدي هذا ليتعلّم خيراً أو يعلّمه كان كالمجاهد في سبيل الله».

وزاد الله أهل المدينة فضلاً بمسجدٍ آخر له فضل ومزيّة، هو مسجد قباء، فقال النبي ﷺ: «من تطهّر في بيته ثم أتى مسجد قباء، فصلى فيه صلاة، كان له كأجر عمرة».

وكيف لا تكون سكنى المدينة نعمةً -يا عباد الله- وهي المدينة التي يأرِز إليها الإيمان، كما أخبر النبي ﷺ في قوله: «إن الإيمان ليأرِز إلى المدينة كما تأرز الحيّة إلى جُحرها»؟ وذلك -يا عباد الله- أن الإسلام بدأ غريبًا، وسيعود غريباً كما بدأ، فيعود إلى مدينة رسول الله ﷺ.

وكيف لا تكون سكنى المدينة نعمةً -يا عباد الله-، وهي المدينة التي هي خيرٌ للمؤمن من البلدان طيّبة الماء، طيّبة الهواء، كثيرة الخُضرة، واسعة الرزق، عظيمة الخير؟ يقول النبي ﷺ: «تُفتح اليمن، فيأتي قوم يَبُسّون»، أي أنهم يأتون مسرعين لِما رأوا من طِيب هوائها، وكثرة الخير فيها، «فيتحمّلون أهلهم ومن أطاعهم، والمدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون، وتُفتح الشام، فيأتي قوم يُبسّون، فيتحمّلون أهلهم ومن أطاعهم، والمدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون، وتُفتح العراق، ويأتي قوم يُبسّون، فيتحمّلون أهلهم ومن أطاعهم، والمدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون».

وكيف لا تكون سكنى المدينة نعمةً -يا عباد الله- وهي المدينة التي مَن صبر على لأوائها وشدّتها كان موعوداً بنيل شفاعة أو شهادة رسول الله ﷺ؟ فقال ﷺ: «لا يصبر على لأوائها وشدّتها أحد إلا كنتُ له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة».

كيف لا تكون سكنى الميدنة نعمةً -يا عباد الله-، والنبي ﷺ رغَّب في الموت فيها؟ فقال ﷺ: «من استطاع أن يموت في المدينة فليَمُتْ فيها، فإني أشفع لمن مات فيها».

كيف لا تكون سكنى المدينة -يا عباد الله- نعمةً، وهي المدينة التي حماها الله من أعظم الشرور، فحماها من الدجال، وهو أعظم الناس شرّاً، وحماها من الطاعون، وهو أعظم الأمراض شرّاً؟ فأخبر النبي ﷺ أن على أبواب المدينة ملائكة يحرسونها، لا يدخلها الدجال ولا الطاعون.

الدجال -يا عباد الله- سيطأ كل البلاد إلا مكة والمدينة، يأتي المدينة قاصداً دخولها، فلا يمرّ على نَقْبٍ من نِقابها، أو على باب من أبوابها، إلا وجد الملائكة صافّين حاملين سلاحهم، يحرسونها منهم، حتى ينزل في الجرف، خارج حدود المدينة.

كيف لا تكون سكنى المدينة -يا عباد الله- نعمةً، وهي المدينة التي حلّت فيها البركة، ففيها بركة عظيمة، ببركة دعاء النبي ﷺ، فكان من دعاء النبي ﷺ: «اللهمّ بارك لنا في مدينتنا، اللهمّ بارك لنا في صاعنا، اللهمّ بارك لنا في مدّنا، اللهمّ اجعل بالمدينة ضعفي ما جعلت بمكة من البركة»، ودعا النبي ﷺ بالبركة في الصاع والمدّ، قال العلماء: والمقصود أن الصاع أو المدّ في المدينة يكفي ما لا يكفي في غير المدينة، ومن سكن حرم المدينة عرف هذه البركة -يا عباد الله-.

هذه المدينة المباركة، مدينة رسول الله ﷺ، النعمة العظمى، هذا بعض فضلها، فهل عرفنا -يا عباد الله- مقدار ما نحن فيه من نعمة؟ وهل شكرنا الله ﷻ على هذه النعمة؟ وهل قمنا بحق المدينة علينا؟

إن من حق المدينة علينا -يا عباد الله- أن نقوم بحق ربنا فيها، قياماً نجتهد فيه، فنحرص على أن نكون من عباد الله الصالحين، ونحذَر الشرك وأهله، ونحذَر البدع وأهلها، ونحذَر الكبائر وأهلها، فإن هذا -يا عباد الله- وإن كان فرضاً لازماً على كل مسلم في كل زمان ومكان، إلا أنه في المدينة أوجب وأعظم، فإن النبي ﷺ قال: «المدينة حرم ما بين عَير إلى ثَور، مَن أحدث فيها حدثاً، أو آوى فيها محدِثاً، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عَدلاً يوم القيامة».

«المدينة حرم ما بين عير إلى ثور، من أحدث فيها»: والحدث -يا عباد الله- يشمل الشرك بالله، والبدع، والكبائر من الذنوب.

«أو آوى فيها محدِثاً»: أو أعان فيها محدِثًا.

«فعليه لعنة الله»: فهو مطرود من رحمة الله ﷻ.

وعليه لعنة الملائكة والناس أجمعين: فهو مستحق لأن يلعنه الملائكة والناس أجمعون.

«لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً»: لا يقبل الله منه فريضةً ولا نافلةً يوم القيامة.

الله أكبر -يا عباد الله-! ما أعظمه من وعيد! إنه وعيد يُزَلزِل القلوب المؤمنة، فيا من شرّفكم الله بسكنى المدينة، احذروا ما حذَّركم رسول الله ﷺ منه.

وإن من حقوق المدينة -يا عباد الله- أن ننصح لأهلها، وأن نحذر من أذيّتهم، وأن نحذَر من غشّهم، وأن نحذَر من الكيد لهم، فإن هذا -يا عباد الله- وإن كان مطلوباً في كل مكان، إلا أنه في المدينة أشدّ طلباً، يقول النبي ﷺ: «لا يكيد أحدٌ أهلَ المدينة إلا انماع كما ينماع الملح في الماء»، وقال ﷺ: «لا يريد أحد أهل المدينة بسوء إلا أذابه الله في النار ذَوب الرصاص، أو ذَوب الملح في الماء»، وقال ﷺ: «من ظَلم أهل المدينة أو أخافهم أخافه الله، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً».

فيا من أكرمك الله بسكنى المدينة، إياك ثم إياك أن تؤذي أهل المدينة!

يا من رزقك الله الطب -فرزقك نصف العلم-، انصح لأهل المدينة، وإياك أن تغشّهم أو تُدخل عليهم ما يضرّهم.

يا من أنعم الله عليك بالعلم، انصح لأهل المدينة، وإياك أن تغشّهم.

يا من رزقك الله علماً من علوم الدنيا، يا من كنت عاملاً في المدينة، انصح لأهل المدينة، وإياك أن تغشّهم.

يا من جعلك الله كفيلاً على عُمّالٍ في المدينة، انصح لهم وفِ لهم بعقدهم، وإياك أن تُخيفهم ظلمًا، وإياك أن تؤذيهم، فإن كل ذلك داخل في وعيد رسول الله ﷺ.

فاتقوا الله -عباد الله-، وتأمّلوا في حالكم في المدينة، فإن المدينة نعمة عظمى لمن أطاع الله فيها، وتكون نقمة على من لم يَقُم بحق الله فيها.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

[الخطبة الثانية]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد فيا معاشر العباد:

إن من حق المدينة علينا أن نصبر على حرّها وقَرّها، وشدّتها ولأوائها، وألا نتجزّع، وألا نجزع، وألا نتسخّط، وإذا أصابتنا البلواء والشدة فلنتذكّر عظم النعمة ونحن في مدينة رسول الله ﷺ، ولنتذكّر الجزاء الموعود لمن صبر على لأوائها وشدتها بالفوز بشفاعة رسول الله ﷺ يوم القيامة.

وإن للمدينة -يا عباد الله- حرماً جعله رسول الله ﷺ، وبيّن حدوده، فقال: «المدينة حرم ما بين عير إلى ثور»، وقال ﷺ: «وإني أحرِّم ما بين لابتيها».

وإن لهذا الحرم حقّاً -يا عباد الله- بيّنه رسول الله ﷺ: «لا يُختلى خلاها، ولا يُنفَّر صيدها، ولا تُلتقط لُقطتها إلا لمن أشاد بها» -وفي رواية: «إلا لمنشد»-، «ولا تُقطع شجرتها إلا أن يَعلِف رجلٌ بعيرَه، ولا يُحمل فيها سلاحٌ لقتال».

فالمدينة -يا عباد الله- لها حرمٌ عند جمهور أهل العلم، وهو الذي دلّت عليه الأدلة، فيَحرُم فيها أخذ العُشب الرَّطب الذي نبت من ماء السماء، لا الذي أنبته الآدميون، إلا أن يُحتاج إليه إلى العلف، ويَحرُم فيها -يا عباد الله- أن يُنفَّر صيدها، فالصيد في مدينة رسول الله ﷺ حرام، ويَحرُم فيها -يا عباد الله- أن تؤخذ اللقطة ليتملّكها الإنسان، فلا تحل إلا لمنشد يُعلِم الناس بها، ويحفظها لأصحابها، ولا يجوز -يا عباد الله- أن تُقطع شجرتها التي لم يُنبِتها الآدميون، ولا يجوز أن تُخبَط بعصاً أو نحوه ليتساقط شجرها، إلا أن يُقطع منها شيء من أجل أن يُعلِف الرجل دابته كبعير أو نحوه.

ولا يجوز -يا عباد الله- أن يُحمل فيها سلاحٌ بقصد القتال فيها، أو بقصد قتل مسلم فيها.

هذا هو الحرم -يا عباد الله-، وهذا هو حقه علينا، فعلينا -عباد الله- أن نعظِّم حرمات الله، ﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج:٣٢]، علينا -عباد الله- أن نستشعر نعمة الله علينا بسكنى المدينة، وعلينا

أن نتأدب بالآداب الرفيعة في مدينة رسول الله ﷺ، وعلينا أن نحذَر حذراً شديداً من كل ما يُغضب الله في المدينة.

ثم اعلموا -رحمني الله وإياكم- أن الله أمرنا بأمر عظيم شريف، بدأ فيه بنفسه، ثم ثنّى بملائكته، فقال -عز من قائل-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب:٥٦].

وقال النبي ﷺ: «من صلّى عليّ صلاة واحدة صلّى الله عليه بها عشراً».

فاللهمّ صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صلَّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وسلِّم تسليماً كثيراً.

وارضَ اللهم عن الصحابة أجمعين، وارضَ اللهمّ عن الصحابة أجمعين، وارضَ اللهمّ عن الصحابة أجمعين، وارضَ عنّا معهم بمنّك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

اللهمّ اجعلنا ممّن رضيت أقوالهم وأعمالهم وقبلتها يا رب العالمين، اللهمّ اجعلنا ممن رضيت أقوالهم وأعمالهم وقبلتها يا رب العالمين، اللهمّ اجعلنا ممن رضيت أقوالهم وأعمالهم وقبلتها يا رب العالمين.

اللهمّ اجعل سكنى المدينة نعمةً علينا يا رب العالمين، اللهمّ اجعل سكنى المدينة نعمةً علينا يا رب العالمين، اللهمّ اجعل سكنى المدينة نعمةً علينا يا رب العالمين.

اللهمّ زدنا خيرًا في المدينة، اللهمّ زدنا خيرًا في المدينة، اللهمّ زدنا خيرًا في المدينة، اللهمّ اجعلنا خيرًا لأهلها، اللهمّ اجعلنا خيرًا لأهلها، اللهمّ اجعلنا خيرًا لأهلها، اللهمّ إنا نعوذ بك من أن نؤذي أهلها، اللهمّ إنا نعوذ بك من أن نؤذي أهلها، اللهمّ إنا نعوذ بك من أن نؤذي أهلها.

اللهمّ يا ربنا، يا حي يا قيوم، إنا عباد من عبادك ضعفاء، قد اجتمعنا في بيت من بيوتك، نؤدي فريضة من فرائضك، نرجو رحمتك ونخاف عذابك، اللهمّ أعطنا ما نرجو وأمِّنَّا مما نخاف يا رب العالمين، اللهمّ وزدنا فضلاً من فضلك يا رب العالمين.

اللهمّ إنا عباد مذنبون، قد أذنبنا وأسرفنا وأكثرنا من الذنوب، اللهمّ فاغفر لنا ذنوبنا أجمعين، اللهمّ اغفر لنا ذنوبنا أجمعين، اللهمّ اغفر لنا ذنوبنا أجمعين، اللهمّ ارزقنا توبةً ترضى بها عنا يا رب العالمين، اللهمّ ارزقنا توبةً ترضى بها عنا يا رب العالمين، اللهمّ ارزقنا توبةً ترضى عنا بها يا رب العالمين.

اللهمّ أطِب حياتنا في المدينة، وأطِب حياة المسلمين في كل مكان يا رب العالمين، اللهمّ ارزق المسلمين الأمن والإيمان يا رب العالمين، اللهمّ ارزق المسلمين الأمن والإيمان يا رب العالمين، اللهمّ ارزق المسلمين الأمن والإيمان يا رب العالمين.

اللهمّ يا ربنا، إنا عباد في المدينة تَئِنُّ قلوبنا حُزناً وكمَداً على إخوةٍ لنا في سوريا، اللهمّ فاكشف عنهم البلاء يا رب العالمين، اللهمّ اكشف عنهم البلاء يا رب العالمين، اللهمّ اكشف عنهم البلاء يا رب العالمين.

اللهمّ اجمع كلمة إخواننا في مصر وتونس وليبيا واليمن على الحق والهدى يا رب العالمين، وهيِّء لهم ولسائر المسلمين أمرَ رَشَدٍ يُعَزّ فيه أهل طاعتك، ويُذَلّ فيه أهل معصيتك يا رب العالمين.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

والله تعالى أعلى وأعلم، وصلى الله على نبينا وسلّم.